الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة قسنطينة1

قسم الآداب واللغة العربية

ملخص محاضرات مقياس

بنية النص النثري القديم

السنة الأولى ماستر

التخصص :الأدب العربي القديم

الفوج 3-4:

المجموعة2

المحاضرة 1: نشأة النثر العربي القديم وما قيل فيها من آراء

المحاضرة2: الأشكال النثرية قبل الإسلام

المحاضرة 3:تطور الأشكال النثرية

المحاضرة4: المناظرات

المحاضرة 5:الرسائل الإخوانية

المحاضرة6:الرسائل الديوانية

أستاذة المقياس:د. غرايبية

المحاضرة 1: نشأة النثر العربي القديم وماقيل فيها من آراء

1-مفهوم النثر: هو الكلام الخالي من الوزن والتقفية. ويذهب البعض إلى أنّ الإنسان البدائي استخدم النثر كوسيلة فنية للتأثير في الغير قبل أن يستخدم الشعر.

2-أنواعه: النثر نوعان:

-النوع الأول: الكلام العادي: لم يقصـــد أصـــحابه فيه –غالبًا- إلى الإجادة ولا إلى جمال فنّي وإنّما أرادوا تأدية ما في نفوسهم من المعاني وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الأغراض.

-النوع الثاني: النثر الفنّي: وهو ما حوى أفكارًا منظمة، في عرض جميل جذّاب، وصياغة جيّدة السبك فصيحة الأسلوب، وأهمّ أنواعه: الخطابة، والكتابة الفنية، وما تتضمّنه من: رسائل وقصص ومناظرة، وجدل وتاريخ، بالإضافة إلى الأمثال والحكم والوصايا، والمنافرات والمفاخرات والمحاورات ونثر الكلمات...

2-النثر في المدونة العربية التراثية قسمت العرب نصوص اللغة إلى صنفين: صنف منظوم بوزن وإيقاع وقافية؛ أسمتْهُ شعرا. وصنف منثور يقول صاحب اللسان: «النثر نَثْرُكَ الشيءَ بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر وكذلك فالمعنى اللغوي يعني الشيء المبعثر (المتفرق) الذي لايقوم على أساس في تفرقه وبعثرته.أما النثراصطلاحا ؛ فهو الكلام الذي ليس فيه الوزن ويعتمد على الحقائق. بتعبير آخر: النثر هو الكلام المقفي بالأسجاع.

- **ومن خصائص النثر الفني استخدام الفنون البلاغية المعنوية كالتشبيه والاستعارة والكناية والتورية وكافة أنواع المجاز، وكذا المحسنات اللفظية كالجناس والمطابقة والسجع والمقابلة وغيرها.**
- **أما النثر غير الفني: فهو الكلام العادي الذي يستخدمه الناس للتواصل فيما بينهم للتفاهم ولقضاء احتياجاتهم الحيوية. بلغة واضحة وبسيطة بعيدة عن التكلف .**
- **أما النثر العلمي فمن خصائصه وصف الظواهر والأشياء بلغة دقيقة لا خيال فيها؛ لغة تهدف إلى إيصال حقيقة ما، وليس إبراز الموهبة البلاغية والمهارة القولية، ومنه التقارير العلمية والرسمية والكتابة الوظيفية المقتصرة على طلب أو شكوى أو تظلّم ونحوها .**

3- الآراء التي قيلت حول نشأة النثر الفني في العصر الجاهلي

الاتجاه الأول : يؤكد الدكتور زكي مبارك **أنه قد كان للعرب في الجاهلية نثر فني له خصائصه وقيمته الأدبية، وأن الجاهليين لابد وأن يكونوا قد بلغوا في ذلك المضمار شأوا بعيدا لايقل عما وصل إليه الفرس واليونان في ذلك الوقت، بل أنهم في إنتاجهم الأدبي في النثر لم يكونوا متأثرين تأثراً كبيرا بدولة أخرى مجاورة أو غير مجاورة، وإنما كانت لهم في كثير من الأحيان أصالتهم وذاتيتهم واستقلالهم الأدبي الذي تقتضيه بيئتهم المستقلة، وحياتهم التي كانت أقرب إلى**

الانعزال. وإذا كانت الظروف المختلفة لم تساعد على بقاء هذا التراث من النثر الجاهلي، فليس معنى ذلك أن نهدره ونحكم بعدم وجوده، وإنما يجب أن نلتمسه في مصادر أخرى. ونحن إن فعلنا هذا فسوف نجد بين أيدينا حجة لاتنكر، ودليلا لا يجحد على أن ثمة نثرا جاهليا، ألا وهو القرآن الكريم. فإذا كنا نؤمن بأن هذا القرآن قد نزل لهداية هؤلاء الجاهليين، وإرشادهم، وتنظيم حياتهم في نواحيها المختلفة من دينية، وأخلاقية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وأنه كان يخاطبهم وهم بطبيعة الحال لايخاطبون إلا بأسلوب الذي يفهمونه ويتذوقونه، وأنه كان يتحداهم في محاكاته، والإتيان بسورة من مثله ولا يسوغ في العقل أن يكون هذا التحدي إلا لقوم قد بلغوا درجة ما من بلاغة القول، وفصاحة اللسان تجعلهم أهلا لهذا التحدي حتى يصدق معناه، إذا كان هذا كله، وأن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب وعلى لسان واحد منهم ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ تأكد لنا أن العرب الجاهليين قد عرفوا النثر الفني، وأن .القرآن يمكن أن يعطينا صورة ـ ولو تقريبية ـ عن شكل هذا النثر، ومنهجه، وحالته التي كان عليها
وكذلك يعتقد الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي بوجود النثر الفني في الجاهلي

الاتجاه الثاني :ويرى الدكتور طه حسين **بأن النثر الفني بمعنى أنه تعبير جميل رصين محكم يستدعي الرؤية والتفكير والإعداد، لايتصور أن يكون موجودا في العصر الجاهلي؛ إذ أن هذا اللون من النثر إنما يلائم نوعا من الحياة لم يكن قد تهيأ للعرب إذ ذاك. فهذه الحياة الأولية الفطرية السهلة التي كان يحياها العرب قبل الإسلام لم تكن تسمح بقيام هذا اللون من الكتابة الفنية التي تستدعي بطبيعتها الرؤية، والتفكير، ووجود جماعة إنسانية منظمة تسودها أوضاع سياسية واجتماعية معقدة. وهذا النثر المنسوب إلى الجاهليين ليس إلا شيئا منحولا مدسوسا عليهم. حيث إنه على هذا النحو الذي روي به لايكاد يمثل الحياة الجاهلية تمثيلا كاملا. فهذه الخطب، والوصايا، والسجع، والكلام الذي ينسب لقس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي، وغيرهما يكفي أن ننظر إليه نظرة واحدة لنرده بأجمعه إلى العصور الإسلامية التي انتحلت فيها كل هذه الأشياء؛ لنفس الأسباب التي انتحل الشعر من أجلها وأضيف إلى الجاهليين[.**

الاتجاه الثالث :ويتحدث شوقي ضيف عن نشأة النثر الفني في الأدب العربي بقوله «**نحن لانغلو هذا الغلو الذي جعل بعض المعاصرين يذهب إلى أن العرب عرفوا الكتابة الفنية أو النثر الفني منذ العصر الجاهلي، فما تحت أيدينا من وثائق ونصوص حسية لا يؤيد ذلك إلا إذا اعتمدنا على الفرض والظن، والحق أن ما تحت أيدينا من النصوص الوثيقة يجعلنا نقف في مرحلة وسطى بين الرأيين، فلا نتأخر بنشأة الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر الجاهلي، بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق، وهو العصر الإسلامي .**

المحاضرة 2: الأشكال النثرية قبل الإسلام

عرف التراث الأدبيّ العربيّ أجناساً نثرية عدة فبدءاً بالأمثال، وسجع الكهّان، والخطابة، والمنافرات، والمراسلات، والوصايا، والأخبار، والقصص، وقصص الحيوان، وقصص العشّاق، والقصص الفُكاهي، والقصص الدينيّ، والقصص الصوفيّ، والطُّرف، والنوادر، والحكايات، والمقامات، والمنامات، ومراسلات الخلفاء والولاة والقضاة، ومروراً بالحِجاج، والمناظرات، والمقابسات، والمساجلات وانتهاء بنصوص الرحلات، وأدب السّير

1-**النثر في العصر الجاهلي :لقد تميز النثر في هذا العصر بقلة نماذجه التي وصلت إلينا مقارنة بعصور لاحقة، وذلك**

بسبب تناقل الناس لهُ بالطريقة الشفهية مما أدى إلى ضياعه وعدم وصوله إلينا كاملاً غير أن النصوص النثرية المدوّنة التي وصلتنا بدءاً من الجاهلية إلى القرن السابع الهجري تفوق مثيلاتها في الحضارات واللغات الأخرى.

بنية الخطاب النثري في العصر الجاهلي :

1.الخطابة: هي فن الوصول إلى قلوب الجماهير وإقناعهم عن طريق: التأثير العاطفي، أو العقلي، أو كليهما، بكلام بليغ وموجز. وكان من أهم مواضيعها الحث على الدفاع عن القوم، أو التحريض على القتال، أو إغاثة الملهوف . ويستخدمها الملوك والزعماء والقادة في مناسبات سياسية واجتماعية مختلفة.

بنية الخطبة: يتكوّن نص الخطبة من ثلاثة عناصر أساسية هي:

أ-المقدّمة:للاتصال بالسّامعين، وإعداد نفوسهم للموضوع، ولابدّ أن تكون موجزة جذّابة وعلى صلة وثيقة بموضوع الخطبة.

ب-العرض:هو العنصر الأساس في الخطبة، يذكر فيه الخطيب آراؤُه، مُقسّمة مُنَسّقة مؤيّدة بالبراهين، معتمدًا في ذلك على الحجج والبراهين، مُراعيا اللّباقة والتجافي عن السباب، ذاهبا إلى الإقناع والتأثير.

ج-الختام أو النتيجة: تلخيص للموضوع وتسجيل على السامعين، يُراعى فيه الإيجاز والوضوح، ويكون جامعًا لأهمّ عناصر الخطبة وموضوعها

الخصائص الفنية للخطبة في العصر الجاهلي :كان الخطباء يحرصون على أن تتوافر في خطبهم عدة خصائص، منها:

)أ)- وضوح الفكرة.

)ب)- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.

)ج)- التنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي.

)د (قلة الصور البيانية.

)هـ)- مراعاة السجع في عباراتها لاسيما في مقامات الفخر خاصة. أما في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، مثلاً، فكانوا يستخدمون الأسلوب المرسل .

)و)- كانوا يؤثرون قِصَر العبارة في خطبهم، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال، لغرض التأثير والإقناع.

)ز)- ليس للخطبة طول محدد، بل قد تطول وقد تقصر، بحسب المقام والموضع والهدف منها.

2 .الأمثال :المثل قول بليغ موجز يُقال في مناسبات معينه مشابهة لوقائع حصلت قديمًا .وكان للجاهليين حظ وافر وتراث كبير من تلك الأمثال، فالعربي بطبعه يَميل إلى تزيين كلامه وتقويته بضرب الأمثال، ومنها. وقولهم: "تسمع بالمُعيدي خير من أن تراه". (يضرب مثلاً لمن يكون أمره مشهوراً ولكن هيئته لا تدل على ذلك.

3.سجع الكهان :هو "أسلوبٌ مسجَّعٌ حافلٌ بالأقسامِ والإبهام، وإغرابٌ يَحتملُ ألوانًا من التأويل". والكهان عند العرب القدماء هم طائفة ادَّعت معرفة الغيبيات والمستقبل بما سُخِّر لهم من الجن الذين يسترقون السمع من السماء. وهذا

الضرب من النثر تلاشى وانتهى بمولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلم تَعد الجن تسترق السمع, قال تعالى :" وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً "وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً" سورة الجن.

وقد ظهر في العرب عدد من هؤلاء الكهان، وفيهم من كانوا حكاماً في المنافرات أيضاً. ومنهم: سَطيحٌ الذئبي، وشِقٌّ الأنماري، وعَوْفٌ الأسَدي، والخُمْسُ التَّغْلبي، وعُزَّى سَلَمَة، ونَفيلُ بنُ عبد العُزَّي، وخنافرُ الحِمْيَري، وسَوادُ بنُ قارِب الدَّوْسي، وعَمْرُو بن الجُعَيْد، وابنُ الصياد، والأبلقُ الأزدي، والأجلحُ الذَّهْري، وعُرْوَةُ بنُ زيد الأزدي، و رياحُ بنُ عِجْلة، وهو المعروف بعرَّاف اليمامة. ومن النساء الكاهنات: فاطمة الخثعمية، وطريفة اليمينية، وعفيراءُ، وكذلك زِبْراءُ؛ كاهنة بني رِئام من قضاعة ومن .نماذج سجع الكهّان :
ما قاله عُزَّى سَلَمَة: والأرضِ والسماء، والعُقَابِ والصَّقْعاءِ، واقعةٍ بِبَقعاءَ، لقد نَفَّرَ المَجْدُ بني العُشَراءِ للمجدِ والثَّناءِ.
وما قالته الكاهنة زِبْراءُ، مُنذرةً قومها بني رئام: "واللوحِ الخافقِ، والليلِ الغاسقِ، والصباحِ الشارقِ، والنجمِ الطارقِ، والمُزْنِ الوادقِ، إنَّ شجرَ الوادي ليَأْدُو خَتْلاً، ويَخْرُقُ أنيابًا عُصْلاً، وإنَّ صخرَ الطَّوْدِ لَيُنْذِرُ ثُكْلاً، لا تجدونَ عنه مَعْلاً ."
وقول الكاهنة عفيراء في تفسير رؤيا رآها مرثد بن كِلال: "رأيتَ أعاصيرَ زوابعْ بعضُها لبعضٍ تابعْ، فيها لهبٌ لامعْ، ولها دخانٌ ساطعْ، يقفوها نهرٌ متدافعْ، وسمعتَ فيما أنتَ سامعْ دعاءَ ذي جرسٍ صادعِ: هلموا إلى المشارعِ؛ رويٍ جارعٍ، وغرقٍ كارعٍ."

<u>خصائص سجع الكهّان</u>: يُلاحَظ أنها - في جملتها - كلام عام، لا يرشد السامع إلى حقائق جلية، وإنما يضعه في الغموض والإبهام، باصطناع السجع، والإيماء، وقِصَر الجُمل لإلهاء السامع عن تتبع ما يلقى إليه من الأخبار الغريبة، وجعله في حالة نفسية مضطربة تساعد الكاهن على الوصول إلى ما يريد، بكل سهولة ويسر، ويكون المخاطب، بتلك الإشارات الغامضة، والألفاظ المبهمة، والأقسام المؤكدة، والأسجاع المنمقة، مستعداً لقبول كل ما يقال له، بلا جدال أو اعتراض، وتأويل ما يسمعه بحسب حالته ومدى فهمه.
كما يُلاحَظ في نصوص الكهّان أنها تحمل طابع التكلف الشديد في سجعها ولهذا لا يُطمَأنّ إليها كلها، فربما أضيفت إليهم أشياء ليست لهم حقيقة، وربما كان بعضها محفوظاً صحيحاً، لقصره وإيجازه. أما سبب دخولها في النثر الفني فهو قيامها على السجع في عباراتها .
.4<u>القصص</u> :تعدّ القصص أحد فنون النثر الجاهلي التي يروي فيها الراوي وقائع وأحداث من أخبار الأمم السابقة مثل أخبار العرب البائدة، وإرم ذات العماد، وعام الفيل، وحكايات مأرب وسيل العرِم، وغيرها. كان القُصّاصُ يروونها في أوقات سمرهم حول مضارب خيامهم وفي مجالس أهل القرى والحضر. وقد تعرض كثير منها للتحريف والتبديل، ودخلها الكثير من الأساطير بسبب طول العهد، واقتصارها على الانتقال الشفاهي الذي يعتمد على الذاكرة في ظل عدم وجود مصادر مكتوبة لها.

5- <u>الوصية</u> : هي كلام يُراد به النُّصح والإرشاد صادر من الألسن، أي يقوله كبير العمر الذي اكتسب تجربته في الحياة، فينقل هذا الكلام إلى مَن هو أصغر منه أو أقلّ منه تجربة، ومن خصائص الوصايا أنّها تختص بموضوع النّصح

والإرشاد، فتتضمن الحثّ على السلوك النافع، كما تتميّز بتناسب الجُمل ودقتها، فهي نتيجة الخبرة الطويلة، والملاحظة الدقيقة، ومن أعلام الوصايا في العصر الجاهلي: وصية زهير بن جناب الكلبي، ووصيّة زوجة عوف بن ملحم يا معشر عدوان: لا تشمتوا بالذلة، ولا " [الشيباني، إضافة إلى وصيّة عامر بن الظرب لقومه، والذي يقول بها: ١٣ تفرحوا بالعزة، فبكلّ عيش يعيش الفقير مع الغني، ومن يَرَ يومًا يُرَ به، وأعدوا لكل أمر جوابه، إن مع السفاهة الندم، والعقوبة نكال، وفيها ذمامة، ولليد العليا العاقبة، وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكثرة الرعب، وللصبر الغلبة، ومن طلب شيئا وجده، وإن لم يجده أوشك أن يقع قريبا منه".

- **<u>أسباب قلة النصوص النثرية الجاهلية الموجودة لدينا في العصر الحاضر؟.</u> على الرغم من وجود كتّاب قلائل في العصر الجاهلي، فإن التدوين لم يكن شائعا لأسباب منها**

1. عدم وجود دولة قائمة وقوية، بل كانت كل قبيلة هي دولة نفسها .

.2عدم الاستقرار في منطقة معينة لأن معظم العرب كانوا قبائل رحّل، وأهل القرى كانوا في خطر من مداهمة الغزاة الذين يمكن أن يظهروا في أي وقت .

.3عدم استتباب الأمن بشكل عام بسبب الحروب والأحقاد المتوارثة بين القبائل .

.4عدم وجود مؤسسات تعليم ومكتبات لأن هذه المؤسسات يحتاج إلى دولة قوية توفر العدالة والأمن وتنشر المعرفة وتهيئ وسائل العيش الكريمة لضمان الاستقرار في مناطق معينة.

وهكذا، لم يبق أمام العرب سوى الاعتماد على الذاكرة، التي حفظت كثيرا من الشعر بسبب إيقاعه وأثره الكبير وتناقلته إلى أن وصل إلينا، بخلاف النثر الذي يفتقد للإيقاع الموسيقي،

<u>المحاضرة 3: تطور الأشكال النثرية</u>

<u>لمحة عن النثر في عصر صدر الإسلام :</u> حدثت للنثر في عصر صدر الإسلام نقلة نوعية عظيمة، وذلك بسبب إضافة مصدرين عظيمين للثقافة العربية، وهما: القرآن العظيم، والحديث النبوي الشريف. كما أن منظومة المفاهيم الجديدة التي جاء بها الإسلام غيرت تصورات العرب وكوّنت تصوّرات جديدة ظهرت في لغتهم وأدبهم. ويُلاحظ أن النثر، المنطوق والمكتوب، تطور منذ مجيء الإسلام، كَمًّا وكيفًا، بشكل كبير لا يمكن أن تخطئه العين.

<u>أنواع النثر في عصر صدر الإسلام:</u>

1-القرآن العظيم :لقد تميز القرآن ببلاغة ألفاظه، ووضوح معانيه، وجاء بمواضيع لم تكن يتطرق إليها العرب في شعرهم أو نثرهم فارتقى بهم إلى مراقي العلا. يعود للقرآن الكريم الفضل في توحيد لهجات اللغة العربية بوضع معيار لها حَفِظَها من الضياع بعد أن كانت لهجات مختلفة. كذلك كان القرآن السبب الأساس، وربما الوحيد في ظهور العديد من العلوم المختلفة مثل النحو والصرف والعروض والنقد والفقه والتفسير، وله الفضل في زيادة الثروة اللغوية من خلال استخدامه لألفاظ جديدة ومعان محدثة.

2- الحديث النبوي :تميز الحديث بإيجاز لافت، مع قوة في التأثير، ومنطقية في الإقناع، وبُعْدٍ عن التكلف والتصنع اللغوي. ويدرك كل دارس أن أحاديث الرسول قد أَثَّرَت في الخطباء والكُتّاب والشعراء منذ فجر الإسلام فاقتبسوها في أقوالهم وكتاباتهم ليُقوّوا بها حججهم ويثبتوا بها أحكامهم ويدللوا بها على ثقافتهم وتديّنهم وحسن سلوكهم.

3- الخطابة: تطورت الخطابة في عصر صدر الإسلام تطورًا ملحوظًا، فقد تغيرت موضوعاتها؛ إذ تناولت الدعوةَ إلى الدين الجديد وتوطيد أركانه بعد أن كانت سابقًا في الدعوة إلى القبلية والعصبية، وتناولت أيضًا الدفاع عن الدين الجديد ودحض آراء المعادين والدعوة إلى التوحد والخطابة عند الاستخلاف والمبايعة. هذا وقد تميزت الخطابة منذ مجيء الإسلام بأساليب جديدة منها: قوة العبارة، وتماسك الألفاظ، ونزعة التديّن، والاقتباس والتضمين من القرآن والحديث.

النثر في العصر الأُموي :ازدهر النثر في العصر الأموي ازدهارًا كبيرًا مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وبداية التحزب بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقبول على بن ابي طالب التحكيم، وهنا سنذكر الفنون التي تأثرت وازدهرت في العصر الأموي:

1.الخطابة :ازدهرت الخطابة في العصر الأموي ازدهارًا كبيرًا وذلك بسبب تعدد الأحزاب السياسة والدينية التي ظهرت في تلك الفترة، وكثرة الفتن والاضطرابات، وتوسع الفتوحات الإسلامية, وقد تناولت في موضوعاتها السياسة والوعظ والإرشاد والحروب والمسائل الاجتماعية .

-خصائصها الفنية: تأثرت الخطابة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واقتبست منهما وتضمنت بعض الأمثال والحكم وكانت تبدأ بحمد الله والثناء عليه في الغالب وتحسين الألفاظ وتنسيق الجمل.

2.التوقيعات : هي "عبارات موجزة غاية في البلاغة والعمق والروعة". يكتبها الأمير أو الوالي في أسفل الطلبات أو الحاجات أو القضايا والشكاوى التي ترفع إليه ,يقوم الوالي أو الخليفة بتوجيه هذه الشكاوى إلى معاونيه مع توقيع في الأسفل يوجه به معاونيه إلى ما ينبغي فعله. وتميزت هذه التوقيعات بالإيجاز والبلاغة وبسمو المعنى وقوة الألفاظ, ومن الممكن أن يكون التوقيع آيةً من القرآن أو مثلًا أو حكمةً أو قول مشهور.

3.الرسائل الديوانية والإخوانية :ازدهرت الرسائل في العصر الأُموي ازدهارًا واسعًا نتيجةً لاتساع الدولة الإسلامية وحاجة الخلفاء إلى مراسلة ولاتهم ونتيجةً لامتزاج الثقافة الإسلامية بالثقافات الأجنبية الأخرى وظهور ديوان الرسائل .وقد انقسمت الرسائل في تلك الفترة إلى رسائل ديوانية (رسمية) وإخوانية (شخصية)، وكان لكل منهما صفات ومميزات تميزت بها عن الأخرى, فتميزت الرسائل الديوانية بالوضوح والإيجاز على عكس الرسائل الإخوانية التي امتازت بالإطناب وانتقاء الألفاظ وروعة التصوير وبراعة الخيال.

النثر في العصر العباسي :ازدهرت المعرفة والآداب عموما في العصر العباسي بشكل لم يسبق له مثيل، وفيما يخص النثر فقد تطورت بعض الفنون المعروفة في العصر الأموي وما قبله كالخطابة والرسائل، وظهرت فنون جديدة كالرسائل الأدبية، والمقامات، وأدب الرحلات . ومن أسباب نهضة النثر في العصر العباسي:

1.الرخاء الناتج عن استقرار الأمور في الدولة، واتساع العمران .

2.النضج العقلي وظهور آثار التقدم الفكري في الدولة.

.3ظهور أجيال جديدة من المثقفين من أبناء الأمم المستعربة الذين جمعوا إلى الثقافة العربية الأصيلة فنونا جديدة من ثقافات الأمم التي جاءوا منها.

.4تشجيع الخلفاء والأمراء للكتاب وإغداق الأموال عليهم.

.5المكانة الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة التي يحصل عليها الكاتب جعل الكتابة مطمحا لكل راغب في الجاه والسلطان.

.6التنافس بين الكتّاب على المراكز المرموقة جعلتهم يتنافسون في الإجادة الفنية.

.7كثرة المذاهب الكلامية وحاجة كل مذهب إلى أساليب مقنعة وخطاب مؤثر لاجتذاب المؤيدين.

<u>من أهم فنون النثر في العصر العباسي:</u>

<u>.1الخطابة</u> :ازدهرت الخطابة في بداية العصر العباسي. فعند نشوء الدولة (عام 132هـ) كان العباسيون بحاجة لتثبيت مُلكهم إلى آلة دعائية ضخمة تنتشر بين القبائل والتجمعات السكانية في أرجاء الدولة الإسلامية الواسعة، ولم تكن هناك وسيلة أفضل من الخطابة، وليس هناك دعاة أفضل من الخطباء، واحتاجها الوجهاء أثناء وفودهم على الخلفاء والولاة للتهنئة أو التعزية أو عرض مطالبهم، لذا فقد كانت الخطابة منتشرة بشكل كبير في بداية العصر العباسي واستمرت لنحو قرن؛ إذ واجهت الدولة في بدايتها ثورات عنيفة من العلويين والخوارج وبعض الثائرين المستقلين، وكانت الخطابة سلاحا قويا استخدمه كل من الدولة وخصومها على السواء. وتميزت خطابة تلك المرحلة بجزالة الألفاظ، وعدم الالتزام بالسجع، والتركيز على الموضوع الأساس، والاستشهاد بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال أعلام الإسلام.

ويلاحظ الدارسون أن الخطابة تراجعت بشكل واضح منذ منتصف القرن الثالث الهجري، ثم تدهورت فيما بعد ذلك لدرجة أن الخطباء أصبحوا يقرأون الخطب من كُتب أسلافهم. ويعود سبب تراجعها إلى عدة أمور، من أهمها:

أ- تراجع الدوافع، فبعد استقرار الدولة وبسطها سيطرتها التامة على الأمور لم تعد في حاجة للدعاية كما كانت.

ب- تراجع الفصاحة: فقد ضعف اللسان العربي بسبب ابتعاد مركز الدولة عن الجزيرة العربية، واختلاط العرب بالأعاجم الذين ما لبثوا أن أصبحوا أغلبية.

ج- انتشار الكتابة بعد أن أصبحت الدولة تعتمد عليها في تعاملها الرسمي بشكل رئيس.

د- غلبة العنصر غير العربي على الوظائف والمناصب، وقد كانوا مميزين في الكتابة وضعفاء في الخطابة.

وبذلك فقدت الخطابة أهم أسسها وهي: الدوافع، والخطباء الفصحاء، والجمهور المتقن لأسلوب الخطابة العربية..

<u>.2المقامات</u> :من الفنون النثرية التي نشأت حديثا في ذلك العصر وهي حكايات قصيرة, تشتمل كل واحدة منها على حادثة لبطل تلك المقامات, يغلب عليها أسلوب السجع والتصنع في الألفاظ واختيار أغربها وتعتبر مليئة بالحكم والمواعظ وتدور أغلبها في جانب الاحتيال والتجوال في البلدان. (انظر رابط فن المقامات أدناه(

<u>.3الرسائل</u>:تطورت في العصر العباسي بشكل كبير وأصبحت أكثر إحكاما على المستويين اللغوي والفني. كما أنه ظهر نوع ثالث من الرسائل هو الرسائل الأدبية. ومن أنواع الرسائل في العصر العباسي :

4.أدب الرحلات:كثرت أسفار الناس في العصر العباسي بسبب اتساع رقعة الدولة. ومن أهم أسباب السفر: الجهاد والفتوحات، والتجارة، والحج، وطلب العلم، واستكشاف الأقطار والشعوب المختلفة. وكانت كتابات المسافرين في البداية بسيطة تهتم بنقل المعلومة بطريقة علمية (كبيان المسافات وجغرافية الأرض وعدد السكان ونشاطهم وعاداتهم وما إلى ذلك)، ثم تحولت شيئا فشيئا إلى الأسلوب الأدبي حتى أصبحت فنًّا قائما بذاته

المحاضرة 4:المناظرات

1-تعريف المناظرة :محاورة فكرية بين طرفين متخاصمين تعالج موضوعا محددا، ولكل مناظر وجهة نظر تخالف وجهة المناظر الآخر مع رغبة كل طرف بظهور الحق والاعتراف به أمام مناظره.

2-المناظرات في الأدب اللاتيني :انقسمت إلى ثلاثة أنواع:

المناظرة الجدلية: وهي عبارة عن مبارزة كلامية بين طرفين أمام هيئة تحكيم.

المناظرة السكولاستيكية: وهي أقرب إلى منهج يعنى بالكشف عن حقيقة مشكل ما.

المناظرة الكود ليبيتيكية: وهي تمارس بين الطلبة وأساتذتهم داخل الجامعات.

3-المناظرة في الأدب العربي القديم :. عرف العصر الجاهلي العديد من ألوان المساجلات الفنية والمحاورات الأدبية، تدور معظمها بين الحبيب وحبيبته، فيصف الاثنان شدة الاشتياق ولوعة الهوى ،ومن أمثلتها محاورة امرئ القيس (ت-565هـ)، في معلقته الشهيرة مع ابنة عمه "عنيزة ".

كما عرفت المناظرة أو الجدل ا بعد ظهور الإسلام إذ لعب القرآن الكريم -وما فيه من جدل- دورا بارزا في نشأة المناظرة وتطورها، كما أورد القرآن قصصا كثيرة للجدال والمناظرة، فقد حث المولى تعالى أنبياءه على مناظرة الكفار والمشركين لإقامة الحجة عليهم ؛

أما في العصر العباسي الأول فقد كانت المناظرات دافعا للازدهار الفكري، والرقي العقلي لما لها من تأثير في النشاط الأدبي والفكري من جهة وما أدخلته من أساليب جديدة ،فالمناظر ينتقي أجود الأساليب ويصطفي العبارات التي لها وقع وتأثير على السامع، فنجده ينتقي الألفاظ المنمقة حتى يجد صدى عند الناس عامة، وعند الخليفة خاصة؛ لأن عند هذا الأخير يحظى المناظر بمكانة خاصة، فالخليفة يهبه الهدايا والأموال من أجل أن يحقق الأفضل ،أما التأثير الفكري، فيتمثل في حثّ كل عالم على الاجتهاد، والبحث عن الحقيقة ،والإتيان بالبراهين حتى تظهر الحقيقة ويحكم له بالصواب ويظهر بمظهر المتمكن العارف لا العاجز الذليل.

4-موضوع المناظرات:

- **المناظرات الدينية والسياسية: هناك نظريات عديدة جرت حولها المناظرات، وأهم هذه المناظرات، مناظرة خلق القرآن وهي أول مناظرة سياسية دينية، وقد اشتهرت المناظرات حول الخلافة أو الحكم، ولم تتوقف في أي وقت من الأوقات، وكانت هناك صراعات أخرى دارت حولها المناظرات من بينها، الصراع بين الشعوبيين والعرب، وفي ظلال الدولة العباسية صار للعجم عامة، وللفرس بصورة خاصة مكانة عالية، واحتلوا في الدولة مناصب سامية، وبدأوا يتعالون على العرب ويحتقرونهم، ورد العرب عليهم افتراءاتهم .وهناك المناظرات الدينية البحتة التي كانت تنشط بين مختلف المذاهب الكلامية، والعقائدية، مثل أصحاب الملل والنحل، أو بين المسلمين أنفسهم، أو بين أصحاب سائر المعتقدات.**
- **المناظرات الأدبية: كانت هناك مناظرات متنوعة تدور في مجالس الخلفاء، ومن بينها المناظرة التي تدور بين بديع الزمان الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي. فقد قام الأدباء والشعراء بإنشاء مناظرات خيالية، مثل مناظرة بين الخريف والشتاء للجاحظ، أو بين السيف والقلم لابن الوردي...**
- **المناظرات النحوية: كان الخليل بن أحمد أول أستاذ ذاعت شهرته في علم النحو، وعلى يده تتلمذ سيبويه، وبدأت المناظرات النحوية في القرن الثاني للهجرة، وربما أشهرها تلك التي جرت بين سيبويه والكسائي.**

وكان الخلفاء يمنحون العلماء المتفوقين مكافآت، بالإضافة إلى أن المتناظرين كانوا على دراية بآداب المجالس وما ينبغي أن يراعي في حضرته الخاصة والعامة.

5- أركان المناظرة آدابها وشروطها :

- **أركان المناظرة : للمناظرة ركنان أساسيان هما :**

موضوع تجري حوله المناظرة

فريقان يتحاوران حول موضوع المناظرة (الأول منهما مدع للخبر، والثاني معترض للخبر)

- **آداب المتناظرين :أن لا يظن المناظر خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن فيقلل من اهتمامه ./أن لا يظن خصمه أقوى منه بكثير، حتى لا يتخاذل ويضعف على تقديم حجته على الوجه المطلوب./أن يقصد كل منهما المساهمة في إظهار الحق ولو على يد خصمه . ./أن يحترز المناظر عن الاختصار المخل في الكلام وعن الإطالة المملة بلى فائدة . ترجى./أن لا يعترض كل واحد منهم لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده تماما/أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره**
- **:شروط المناظرة: هدفها هو إظهار الحقيقة فيجب العمل على تجنب الجدل العقيم . ./لا يمكن الوصول إلى هدف المناظرات الذي يجب أن تتقيد به إلا عن طريق النظر . /والبحث عن الحقيقة بواسطة البصيرة التي هي إلى القلب بمنزلة البصر للعين.أمن يكونا المناظرين على معرفة بالموضوع الذي يتنازعان فيه .**

المحاضرة 5: الرسائل الإخوانية

1-مفهوم الرسالة :الرسالة" من مادة "رَسَلَ" التي تدلّ على معاني حسيّة، وهي القطيع من كلّ شكل، أو القطيع من الإبل والغنم، ثمّ تطوّر مفهوم اللّفظة من الاستعمال الحسّي إلى الاستعمال المعنوي، فذكر ابن منظور أنّ: «الإِرْسَالَ يَعْنِي التَّوْجِيهَ، والاِسْمُ الرّسالة والرِّسالة»، ثمّ تطوّر هذا المفهوم، وانطلق من اللّغوي ليدلّ على كلّ كلام يراسل من بعيد وتكون الرّسالة كتابية كما قد تكون مشافاهة .وتتحدّد من كلّ ما سبق شروط المراسلة، وهي وجود طرفي المراسلة (المرسل، والمرسل إليه)، والرسالة (المضمون)، والناقل، وقد يكون المرسل نفسه أو طرفا آخر سمي "الرسول" أو "المبعوث

2-أنواع الرسائل: عرف العرب على مرّ العصور أنواعًا من الرّسائل منها؛ الرسائل الديوانية .والرسائل الإخوانية.والرسائل الأدبية.. والرسائل الدبلوماسية

3- مفهوم الرسائل الإخوانية : هي تلك الرسائل التي تصوّر عواطف الكتّاب وانفعالاتهم ومشاعرهم الخاصة، وموضوعات هذا اللّون من الرسائل كثيرة جعلها مؤلّف صبح الأعشى سبعة عشر نوعا (17) منها: التهاني والتعازي والعتاب والشكوى والاعتذار والشكر.وتقسم هذه الرسائل إلى نوعين رئيسين:

أ-الرسائل الإخوانية شبه الرسمية: وهي التي تحتفظ بالبعد الاجتماعي بين الكاتب والمخاطب ومثالها الرسائل التي يتبادلها الخليفة أو الأمير أو الوزير مع من هو دونه في المنزلة الاجتماعية في أمور خاصة.

ب-الرسائل الإخوانية الذاتية "الشخصية": تتناول ما يدور بين الأصدقاء من عتاب وشوق وعزاء

4-الرسائل الإخوانية في المشرق: عرفت الرسائل الإخوانية في العصر الجاهلي لحاجة الناس إلى التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم ولكنّها ضاعت لعدم الحاجة إلى تدوينها، وفي صدر الإسلام قسّم هذا اللّون إلى نوعين:

أ-الرسائل الشخصية "إخوانية": وتتناول العلاقات بين الأصدقاء وما ينتج عنها.

ب-الرسائل الدينية: وهي ما تناول أحد أمور الدين.

وقد غلبت الصبغة الدينية على كلا النوعين، ولعلّ الرسالة الإخوانية الوحيدة التي أثّرت على الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- هي تلك التي بعثها إلى معاذ بن جبل يعزّيه في ابن له مات وفيها يقول: «... فَعَظَّمَ اللهُ لَكَ أَجْرَكَ، وَأَلْهَمَكَ الصَّبْر، وَرَزَقَنا وَإِيَّاك الشكر، ثُمَّ إنَّ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَا مِنْ مَوَاهِبِ الله السّنيّة وَعَوَارِفِه المُسْتَوْدَعَة... وَكَانَ ابْنُكَ مِن مَوَاهِب الله المُهنية، وعَوَارِفِ المستودَعَة، مَتَّعَكَ الله به غِبْطة وسُرُورًا وقبَضَهُ مِنْك في أَجْرٍ كبِير...»

و شاعت الرسائل الإخوانية في العصر الأموي، بحكم تباعد العرب في مواطنهم، وبتأثير بعض الظروف التي تستوجب المراسلة كالموت (التعزية) أو ولاية (التهنئة)، وطبيعي أن لا يُعنى أصحاب هذه الكتابات بتسجيلها، لعدم اتّصالها بحياة الأمّة، وقد امتازت على قلّة ما وصل منها بـ: اختيار الألفاظ وتنسيقها، ودقّة التعبير، وإحداث التوازن الموسيقي...

ومّمن اشتهر بهذا اللّون عبد الله بن معاوية بن جعفر، الذي كان بليغا لسنا، يعرف كيف يحوك الكلم ويصوغه صياغة باهرة

أمّا في العصر العباسي فقد نمى هذا اللّون نموّا سريعًا وممّا ساهم في ذلك:

1-ظهور طبقة ممتازة من الكتّاب الذّين كانت لهم البراعة والثقافة2-ليونة النّثر ويُسْر تعابيره وقدرته على تصوير المعاني بجميع فروعها.

و قد تمركزت موضوعاتها حول التعازي، العتاب، الاعتذار، الدعوة إلى الزيارة والتهاني

5- <u>الرسائل الإخوانية في المغرب والأندلس</u> : كثرت الرسائل الإخوانية في المغرب منذ القرن السادس الهجري لاكتظاظه بالكُتّاب في ذلك الحين

أما في الاندلس فلم تحتفظ الكتب بنماذج عنها قبل عصر المنصور بن أبي عامر في أواخر القرن الرابع، وترد في الذخيرة لابن بسّام)رسالة شكر لابن دراج القسطلي، مبنية على السجع، مبالِغَةٌ في التّأنّق ممّا يؤكّد شيوع التّنميق في الرسائل الشخصية منذ أواخر القرن الرّابع الهجري (أواخر العصر الأموي) ومن أعلام هذه المرحلة ابن شهيد (ت 426 هـ) الذي اتّسمت رسائله بالطو ل , وفي عصر أمراء الطوائف، ظهر ابن برد الأصغر، وتحفل كتب الأدب برسائله في العتاب والاستزارة وذمّ الصديق، ومن معاصريه؛ أبو محمّد عبد البرّ: وله رسائل في الشفاعة والمودّة والتهنئة الشعرية/ أبو محمد ابن حيان: مؤرّخ الأندلس الكبير (ت 469 هـ).

ثمّ اخذ الكتّاب منذ القرن السابع يتّصفون في كتاباتهم بإلماحات وإشارات إلى الأمثال ووسائل العلوم ومصطلحاتها مثل رسالة أبي المطرف بن عميرة، وأخذت تشيع فيها المحسنات البديعية وبخاصة التورية، مع العناية بجمال الجرس، وحن الأداء، وظلّت هذه السّمة هي الغالبة على الكتابة حتّى أواخر القرن التاسع الهجري.

<u>المحاضرة 6 :الرسائل الديوانية "السلطانية":</u>

1-مفهومها: وهي ما تصدر عن الدواوين أو تَرِدُ إليها خاصة بشؤون الدولة وصوالحها، تيسيرًا للعمل، وتثبيتا للنظام العام، ويغلب على هذا النوع الدّقة والسهولة في التعبير، والتقيّد بالمصطلحات الحكومية والفنيّة، بالإضافة إلى المساواة في العبارات والبراءة من التهويل والتخييل

2-شروط كتابتها: تنبغي مراعاة شروط وأصول كتابتها ومن ذلك:

1-الإيجاز والإطناب والمساواة: حسب مقتضيات الأحوال، فكتب المرؤوسين مُفصّلة، وكتب الرؤساء مُوجزة، حتّى أنّها تكون في بعض الأحوال توقيعًا ومن أمثلة الإيجاز ما كتب به جعفر البرمكي إلى عاملٍ شُكِيَ له: «قد كَثُرَ شَاكُوكَ، وقَلَّ شَاكِرُوكَ، فَإِمَّا اعْتَدَلْتَ وَإِمَّا اعْتَزَلْتَ».

2-مراعاة الألقاب الخاصة بكلّ فرد: وكانوا جميعًا يكتبون عبارات مخصوصة مثل: إلى ركن الإسلام، والجناب الكريم..

3-مراعاة صور البدء والختام: كانوا قديمًا يفتتحون رسائلهم بمثل: "أمّا بعد، أو من فلان إلى فلان..." كانوا يختمونها بمثل قولهم: والسلام، أو السلام عليكم، أو إن شاء الله...

4-تنوّع العبارات بين السهولة والجزالة حسب الموضوع والمكتوب إليه: فقد تكون مسجوعة ولكن يجب الابتعاد عن التكلّف والإغراب

3-الرسائل الديوانية في المشرق: لم تكن الكتابة في العصر الجاهلي فاشية في البادية، ولذا كانوا يعتمدون في تراسلهم على المشافهة، فيبعثون برسالاتهم شفهية مع أمناء يختارونهم لإبلاغها، وكانوا يحتفظون بآثارهم الأدبية فيستظهرونها في الصدور، ويتناقلونها على الألسن، غير أنّ بعض أهل الحاضرة منهم كانوا يمارسون الكتابة، فتبادلوا الرسائل المكتوبة، ولكن لتقادم العهد لم تؤثر عنهم إلاّ رسائل قلائل معدودة

أمّا في صدر الإسلام فقد احتاج المسلمون إلى أن يكتبوا –فكتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم- رسائل، وكتب خُلفاؤه من بعده، ولعلّ أوّل رسالة ديوانية وصلت هي تلك "المعاهدة" التي كتبها الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم- حين نزوله بالمدينة بين المهاجرين والأنصار، ومن موضوعات الرسائل الديوانية للرسول –صلّى الله عليه وسلّم-:

كتب المعاهدات وكتب الصلح بين المسلمين واليهود/ كتب الدعوة إلى الإسلام /كتب التجسّس والاستطلاع/ الرسائل والكتب التشريعية/ الكتب الجوابية/ كتب الإقطاع والغنائم/ الكتب الإدارية.

- **قد تميّزت الرسائل الديوانية النبوية بعدّة خصائص:**

أ-من حيث الشكل: الافتتاح بالبسملة، وذكر طرفي الكتاب، التحيّة بالسلام، أما بعد، مضمون الرسالة.

ب-من حيث المضمون: الإيجاز والإطناب حسب مقتضى الحال، التفاعل والتضّاد، السّهولة والوضوح، التدفّق والترسل، الشواهد القرآنية ومعاني القرآن، أسلوب التقرير والتصوير

ولمّا اتّسعت رقعة الدولة الإسلامية زمن الخلفاء أصبحت في حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط مواردها فكان "عمر بن الخطاب" –رضي الله عنه-أوّل من دوّن الدّواوين، وكان كتّاب الرسائل للخلفاء وعمّالهم إمّا عرب أو موالي يُجيدون العربية، ولمّا نبغ من العرب من يُحسن عملهم حوّلت هذه الدّواوين إلى الكتّاب العرب زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، ومن الكتّاب في العهد الأموي سالم مولى هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد الكاتب الذي آلت إليه زعامة الكتابة آخر الدولة الأموية.

أمّا في العصر العباسي، فقد كانت المادة السياسية والأخلاقية المترجمة من أهم المؤثّرات في رقيّ الكتابة الديوانية وتطوّرها، وقد بدأ هذا التأثير منذ عهد عبد الحميد الكاتب لكنّه لم يبلغ أشدّه إلاّ في هذا العصر، بسبب اتّساع نقل الآداب الفارسية، وكلّ ما أثر عن ملوك الفرس ووزرائهم من عهود ووصايا ورسائل إلى العمّال والولاّة، ومن أهمّ موضوعات الرسائل الديوانية في هذه المرحلة:

-تصريف أعمال الدولة وما يتّصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاّة العهود.

-ما تعلّق بالفتوح والجهاد ومواسم الحجّ، والأعياد، والأمان، وأخبار الولايات.

-عهود الخلفاء لأبنائهم ووصاياهم ووصايا الوزراء والحكّام في تدبير السياسة والحكم.

-<u>التوقيعات</u>: وتميّزت في مجملها بالعبارات الجزلة البلغية، والقوّة بالحجّة إلى أوائل القرن الرابع الهجري، أين بدأت الصناعات اللّفظية تغلب عليها لتغلّب الأعاجم على سلطان الخلفاء في المشرق، وتغلّب البربر على شمالي إفريقية والأندلس في الغرب.

4 :<u>الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس :</u> أخذت الرسائل الديوانية تزدهر ببلاد المغرب منذ عهد يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين واستدعائه لأبي بكر بن القصير، رئيس ديوان المعتمد بن عباد وتكليفه برياسة ديوانه في مراكش عاصمته. وظلّت الكتابة الديوانية راسخة عشرات السنين في ظلّ حكم المرابطين على يد كبار الكتّاب الأندلسيين واستمرّت كذلك بعدهم في ظلّ الموحدّين ومن جاء بعدهم. ويذكر القلقشندي في صبح الأعشى التقاليد المتّبعة في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدّين (الموروثة عن المرابطين) ويقول أنّها تتّخذ أحد أسلوبين:

1-تفتتح بلفظ من فلان إلى فلان: وفي بنيتها العامة:«من أمير المؤمنين فلان، ويُدعى له بما يليق به، ثمّ يؤتى بالسلام، ثمّ يؤتى بالبعدية "أمّا بعد"، ثمّ التحميد والصلاة على النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم- والترضية على الصحابة ثمّ عن إمامهم المهدي، ثمّ يؤتى على المقصود، ثمّ يختم بالسلام.

2-تفتتح بلفظة "أمّا بعد" مباشرة: ثمّ البنية ذاتها لمضمون الرسالة

أما في الأندلس فقدا عتبرت الرسائل الديوانية منشورات رسمية تعكس الوجه السياسي والحضاري لدولة الإسلام في البلاد . وقد حملت سمات فنيّة تتقاطع مع تلك التي كانت في المشرق أحيانا وتختلف عنها أحيانًا أخرى.

ففي صدر الدولة الأموية في الأندلس كانت الرسائل الديوانية ذات طابع إعلامي بحث، تكاد تنحصر وظيفتها في تبليغ إرادة الحكّام وتوجيهاتهم إلى القادة المنفصلين عن حكمهم، تحمل في طيّاتها وعودًا ومواثيق، كما توجّهت إلى العَرب النازلين بأطراف مختلفة يستهوونهم ويرجون نصرهم أو يحذّرونهم كما عالجت غرض الفتوح والجهاد، وفي هذه المرحلة تميّزت الرسائل الديوانية بـ: الأسلوب الواضح الموجز، والاستغناء عن التجميل والتزيين، والبعد عن المقدّمات، وألقاب التعظيم، وهي مع كلّ هذا صورة للنثر الديواني المشرقي.

وفي أواخر العصر الأموي وبداية عصر الطوائف بدأت الكتابة الديوانية تأخذ منحى آخر خاصة بوفود الأدباء والعلوم والمفكرين إلى الأندلس ممّا انعكس على أغراضها، فظهرت في الرسائل الديوانية أوامر سياسية وعسكرية يرسلها الأمير إلى عمّاله في أرجاء الأندلس أو توجيهات من السلطة المركزية ومن موضوعاتها: مواثيق وعهود الائتمان، معاهدات المودة والصلح، واستنهاض الهمم للدفاع عن الدين والتقليد في الوظائف. وقد حاول الكتّاب تطوير أساليبهم فيها فمزجوا بين الإسهاب والوضوح، والجزالة والقوّة، وجعلوا الابتداء والانتهاء على طريقة خاصة.

وفي عهد المرابطي والموحدي كانت هذه الرسائل وسيلة للتعبير عن القضايا والأحداث التاريخية، فنقلت صورة عن طبيعة العلاقات الخارجية مع الدول المجاورة في الحرب والسلم، وكانت أغلب الرسائل الديوانية الصادرة عن سلاطين غرناطة تمثّل صداقة وموّدة مع ملوك المغرب الأقصى خاصة مع بني مرين، ثمّ مع ملوك أرجوان وقشتالة.

<u>5-موضوعات الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس: تنوّعت موضوعاتها ويمكن تلخيصها في:</u>

- **-رسائل البيعة: وتشمل أركان البيعة، وشروطها، وتعزّز بنصائح ووصايا.**
- **رسائل مقاليد الولاة والقادة والقضاة/**
- **رسائل الفتوحات: وهي من الرسائل الأكثر أهميّة لارتباطها بغرض الجهاد وتقوم على ذكر همّة المسلمين للجهاد واستعدادهم للنيل من العدوّ، وتذكر الواقعة... وتختم بالنتيجة وهي النصر على أعداء الله، كما قد تدور حول التهنئة بالفتوحات./**
- **رسائل الجهاد: وهي تلك التي تحثّ على الجهاد مبيّنة أهدافه وأبعاده شارحة بواعثه وفضائله./**
- **رسائل التوقيعات: تُملى مباشرة على الكاتب وتتّسم بالإيجاز والاختصار..../**
- **رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وردت الكتب إلى الولاة والقادة والقضاة، وغيرهم في الرّفق بالرّعية وإقامة الشعائر الدينية.../**

- ❖ **رسائل محاربة الفتن: وتوظّف أسلوب السماحة والغفران تارة، والوعيد تارة، وهي موجّهة للمقصّرين والخارجين عن الطاعة./**
- ❖ **رسائل الشكاوى والاعتداءات: وقد نقلت صورة عن معاناة الرعيّة من فساد الحكام.../**
- ❖ **رسائل المعاهدات: وانقسمت إلى قسمين منها ما تعلّق بالصداقة والصلح والمودّة، ومنها ما تعلّق بالتسليم، وتكون بعد سقوط مدينة أو بعد حصار شديد.**

6-السمات الفنيّة للرسائل الديوانية في المغرب والأندلس:

*** التزام البنية: البدء بالعرض والختام.**

*** الاقتباس والتضمين: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية.**

*** التنويع بين الشعر والنثر: فغالبا ما تضمّنت الرسائل الديوانية أبيات شعرية..... والأندلسية (وغالبا ما يكون لصاحب الرسالة)، وقد تكون الرسالة كلّها قطعة شعرية، وهو نادر.**

*** توظيف الجمل الدعائية والمعترضة: كعبارات الدعاء بدوام العزّ والسعادة، ودوام السلطان.**

*** الإيجاز والإطناب: مراعاة الموقف، كأن يكون أمرا أو نهيا/ إيجاز؛ الصلح، والدعوة إلى الحرب،.....**

*** تنوّع الأساليب: بين المرسل، والمسجوع والمتوازن.**

*** توظيف المحسّنات البديعية: كالجناس، الازدواج)الطباق، المقابلة. (الازدواج: تجانس اللفظتين المتجاورتين. الفوائد / العوائد)**

*** توظيف الخيال والصور البيانية: التشبيه، الكناية، الاستعارة، المبالغات المفرطة.**

أمّا ما تفرّد به المغاربة والأندلسيون عن المشارقة في بعض رسائلهم الديوانية فقد حصره القلقشندي في:

-المخاطبة تقع للمكتوب إليه بميم الجماعة مع الانفراد، كما تقع الكتابة عنه بميم الجماعة مع الانفراد ... لكمِ، إنّنَا.

-الالتزام بالدعاء عند الكتابة: «كتبنا إليكم كتب الله لكم كذا...».

-الترضّي على الخليفة القائمين بدعوته في كتبهم.

-ذكر اسم المكتوب إليه في أثناء الكتاب.

-الختم بالسلام غالبا